QIJIS: *Qudus International Journal of Islamic Studies*
Volume 3, Issue 2, August 2015

الشيخ الإمام محمد عبده وأثره في الفكر الإسلامي المعاصر

محمد مصباح
الجامعة الاسلامية الحكومية بقدس جوى الوسطى إندونيسيا
misbah@stainkudus.ac.id

الملخص

يُعدّ الإمام محمد عبده واحدًا من أبرز المجددين في الفقه الإسلامي في العصر الحديث، وأحد دعاة الإصلاح وأعلام النهضة العربية الإسلامية الحديثة؛ فقد ساهم بعلمه ووعيه واجتهاده في تحرير العقل العربي من الجمود الذي أصابه لعدة قرون، كما شارك في إيقاظ وعي الأمة نحو التحرر، وبعث الوطنية، وإحياء الاجتهاد الفقهي لمواكبة التطورات السريعة في العلم، ومسايرة حركة المجتمع خلاصة القول، كان.وتطوره في مختلف النواحي السياسية والاقتصادية والثقافية محمد عبده يدعو إلى الوحدة الاجتماعية (الوطنية والدينية على السواء) وإلى توفيق جميع المصالح، وإن فكرته عن الأمة المصرية لا تعير العرق أى وزن، وهى نظرة إسلامية أصيلة. وهو من احد المجددين في الاسلام. لقد صدق الله رسوله في نبوءته بأنه سيبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد للامة امر دينها فبعث الله الشيخ الامام محمد عبده.

الكلمات المفتاح: محمد عبده، الفكر الإسلامي، التجديد.

أ. مقدمة

لقد استطاعت الامة الاسلامية أن تقاوم تغزيرات الزمان والمكان, والمؤثرات الخارجية العنيفة, والتقلبات الداحلية التي لا تنتهي. وذلك بقوتين عظيمتين لهما أثرهما في بقاء الاسلام وخلوده الى يوم القيامة. وهتان القوتان هما: القوة الاولى: الحيوية الكامنة في وضع الاسلام نفسه, وصلاحيته للحياة. وتعاليم الاسلام نفسه صالحة لكل زمان ومكان, تستطيع ان تواجه ما يتجدد من الشؤون وأطوار الحياة, وتحل كل ما يعتري من المشكلات. أما القوة الثانية هي أن الله تكلف بأن يمنح هذه الامة رجالا اقوياء في كل عصر, ينتقلون هذه التعاليم الاسلامية الى الحياة, ويعيدون الى هذه الامة الشباب والنشاط. فيبعث في هؤلاء الرجال الثورة والتمرد على الاوضاع الفاسدة,والاخلاق المنحلة, والسياسة المستبدة, والحكم الجائر, ويفرض عليهم إنكار المنكرات وكلمة الحق عند سلطان الجائر.

والمتتبع لتاريخ الامة الاسلامية يجد أن هذه الامة تقدم في كل عصر من عصورها مجددين في الدين, وائمة في العلم, وابطالا في الجهاد, واعلاما في الاصلاح التي لايوجد نظيرهم في امة اخري. وهؤلاء المجددون لا ينحصر عددهم في فرد, وإنما قد يكون في قطر أو مجال من مجالات الحياة مجدد أو اكثر. وفي عصر الحديث يوجد عديد من المجددين المخلصين. وهؤلاء المجددون لديهم الوعي الكامل لحال الامة وما تعانيه, ولديهم ايضا الارادة القوية على صنع التغيير. وهذا الذي جعل الامة الاسلامية تنهض وتنتفض. وهولاء الذين يعودون الاسلام الى الحياة من جديد. ومن هؤلاء المجددين الشيخ الامام محمد عبده.

يُعدّ الإمام محمد عبده واحدًا من أبرز المجددين في الفقه الإسلامي في العصر الحديث، وأحد دعاة الإصلاح وأعلام النهضة العربية الإسلامية الحديثة؛ فقد ساهم بعلمه ووعيه واجتهاده في تحرير العقل العربي من الجمود الذي أصابه لعدة قرون، كما شارك في إيقاظ وعي الأمة نحو التحرر، وبعث الوطنية، وإحياء الاجتهاد الفقهي لمواكبة التطورات السريعة في العلم، ومسايرة حركة المجتمع وتطوره في مختلف النواحي السياسية والاقتصادية والثقافية.

ب. ترجمة الشيخ الإمام محمد عبده

ولد الشيخ محمد عبده عام (هـ الموافق ١٨٤٩ م) لأب تركماني الأصل، وأم مصرية تنتمي إلى قبيلة «بني عدي» العربية، في حصة شبشير من قري إقليم الغربية , ثم نشأ في قرية صغيرة من ريف مصر هي قرية «محلة نصر» بمحافظة البحيرة. أرسله أبوه– كسائر أبناء قريته– إلى الكُتّاب، حيث تلقى فيها دروسه الأولى على يد شيخ القرية. وعندما شبَّ الابن أرسله أبوه إلى طنطا ليحسن التجويد في «الجامع الأحمدي» بعد ان حفظ القران، ويدرس فيه شيئًا من علوم الفقه واللغة العربية.

وكان محمد عبده في نحو الخامسة عشرة من عمره، وقد استمر يتردد على «الجامع الأحمدي» قريبًا من العام ونصف العام، إلا أنه لم يستطع أن يتجاوب مع المقررات الدراسية أو نظم الدراسة العقيمة التي كانت تعتمد على المتون والشروح التي تخلو من التقنين البسيط للعلوم، وتفتقد الوضوح في العرض، فقرر أن يترك الدراسة ويتجه إلى الزراعة. ولكن أباه أصر على تعليمه، فلما وجد من أبيه العزم على ما أراد وعدم التحول عما رسمه له، هرب إلى بلدة قريبة فيها بعض أخوال أبيه.وهناك التقى بالشيخ الصوفي «درويش خضر»- خال أبيه- الذي كان له أكبر الأثر في تغيير مجرى حياته.

وكان الشيخ درويش متأثرًا بتعاليم السنوسية التي تتفق مع الوهابية في الدعوة إلى الرجوع إلى الإسلام الخالص في بساطته الأولى، وتنقيته مما شابه من بدع وخرافات. واستطاع الشيخ «درويش» أن يعيد الثقة إلى محمد عبده، بعد أن شرح له بأسلوب لطيف ما استعصى عليه من تلك المتون المغلقة، فأزال طلاسم وتعقيدات تلك المتون القديمة، وقرّبها إلى عقله بسهولة ويسر وعاد محمد عبده إلى الجامع الأحمدي، وقد أصبح أكثر ثقة بنفسه، وأكثر فهمًا للدروس التي يتلقاها هناك، بل لقد صار «محمد عبده» شيخًا ومعلمًا لزملائه يشرح لهم ما غمض عليهم قبل موعد شرح الأستاذ. وهكذا تهيأ له أن يسير بخطى ثابتة على طريق العلم والمعرفة بعد أن عادت إليه ثقته بنفسه.

في منتصف شوال (٢٨٢١ هـ - ٢٦٨١ م) انتقل محمد عبده من الجامع الأحمدي إلى الجامع الأزهر. وقد كان الأزهر غاية كل متعلم وهدف كل دارس، فدرس الفقه والحديث والتفسير واللغة والنحو والبلاغة، وغير ذلك من العلوم الشرعية واللغوية. وكانت الدراسة في الأزهر- في ذلك الوقت- لا تخرج عن هذه العلوم في شيء، فلا تاريخ ولا جغرافيا ولا طبيعة ولا كيمياء ولا رياضيات وغير ذلك من العلوم التي كانت توصف- آنذاك- بعلوم أهل الدنيا. ولذلك فَقَدْ شَابَ الدراسة في الأزهر- في ذلك الوقت- كثير من التخلف والجمود، وتوقفت العلوم عند ظواهر الأشياء دون النفاذ إلى الجوهر، ومن ثم كانت الدراسة تنصبّ على المتون والحواشي والشروح بالدرجة الأولى.

كان محمد عبده محبا كثيرا في العلوم , فداوم على طلب العلم على شيوخه الأجلاء, والعودة في اخر كل سنة إلى محلة نصر ليتلقى من الشيخ درويش الذي رغبه في إتقان كل علم من الحساب والهندسة والمنطق. (رشيد رضا, ١٣٩١: ٦١). فكان الامام يلتمسها عند عودته إلى القاهرة عند من يعرفها, الى أن جاء السيد جمال الدين الافغاني في شهر المحرم فتلقى عنه بعض العلوم الرياضية والفلسفية والكلامية. (العقاد, ١٧٩١: ٠٤١).

وفي سنة ٤٩٢١ هـ — ٧٧٨١ م تقدم محمد عبده للجنة الامتحان في الازهر لنيل شهادة العالمية فحصل عليها, ولم يكن نيله لهذه الشهادة يمنعه من الاستمرار في طلب

العلم. وبعد نيله لهذه الشهادة عين محمد عبده مدرسا للتاريخ بمدرسة دار العلوم , ودرس اللغة العربية في مدرسة الالسن الخديوية في أواخر سنة ٥٩٢١ هـ. (محمود عقاد, ٩٦٩١: ٧٤١-٨٤١). فالامام محمد عبده يدرس ايضا مقدمة ابن خلدون في دار العلوم, وكان هدفه ليتمكن من بث افكاره الاصلاحية في السياسة والمجتمع.

وفي سنة ٠٠٣١ هـ - ٢٨٨١ م حكم عليه بالنفي لاشتراكه في الثورة العربية, وتوجه الى الشام حيث مكث مدة نفيه إلا عشرة أشهر أقامها في باريس, اصدر غلالها مع الافغاني جريدة العروة الوثقي, ثم عاد بعد توقفها الى الشام, فبدأ درسه في منزله ببيروت في السيرة النبوية وقرأ في الجامع الكبير التفسير, لا يلتزم كتابا وإنما يقرأ في المصحف ويفسر. (رشيد رضا, ١٣٩١: ١٩٣). وفي سنة ٣٠٣١ هـ حينما هو في بيروت دعي الشيخ عبده الى التدريس في المدرسة السلطانية فلبى. وكان له فيها إصلاحات متعددة. فدرس فيها التوحيد وفقه المعاملات والتاريخ والمنطق والمعاني والانشاء. (رشيد رضا, ١٣٩١: ٢).

بعد عودته الى مصر, عين الشيخ عبده عضوا في مجلس إدارة الازهر, وفي سنة ٧١٣١ هـ - ٩٩٨١ م تولي منصب الإفتاء العام للديار المصرية فأصبح عضوا في مجلس الشوري القوانين وفي مجلس إدارة الأوقاف. وفي عام ٠١٣١ هـ - ٠٠٩١ م أسس الجمعية الخيرية الاسلامية وجمعية إحياء العلوم العربية وتولى رئاستها. (الخفاجي, ٨٨٩١: ٦٠٣). وهذه هي نبذة مختصرة عن حياة الامام وكفاحه العلمي والعملي, ولا أريد ان أشرحها تفصيلا.

ج. اعماله ومؤلفاته

بالنسبة من اعماله الفكرية فتتضح في المقالات التي كان يرسلها لجريدة «الاهرام» .وفي هذه الجريدة اتجه محمد عبده الى الكتابة في الموضوعات الدينية والتعليمية, وشرع في كتابة اصلاح التعليم العثماني واصلاح القطر السوري, وشرع في كتابة اصلاح التربية في مصر. كما انه حقق كتب التراث العربي الاسلامي وحقق وشرع مقامات بديع الزمان الهمزاني ونهج البلاغة, وهو ايضا قد ترجم رسالة الرد على الدهريين للأفغاني عن الفارسية.

والشيخ محمد عبده قد قام بتفسير القرآن بمنهج جديد يعتمد علي العقل .وهو ايضا قد رد في مقالات ست نشرت بالمؤيد مؤكدا علي أن الاسلام هو الذي نقل الحضارة الى اوروبا. وقد رد على فرح انطوان صاحب مجلة الجامعة بخصوص ماكتبه حول سماحة المسيحية وجاء رده مبينا دعوة الاسلام الى احترام الأديان الاخري وكونه عقيدة للدنيا والدين معا لا فصل بينهما. ثم كتب رسالة التوحيد وهي دراسة عقلية للالهيات والأصول الفكرية الاسلامية قدم فيها تفسيرات ووضح فيها منهجه التجديدي. وظهرت له اعمال اخري مثل تقرير اصلاح المحاكم الشرعية. وتشير الدلائل الى أن الإمام قد شارك في إعداد كتاب تحرير المرآة لقاسم امين. فقد كتب فصولا منه وكتب قاسم امين فصولا اخري ثم

صاغ الإمام بنفسه الكتاب صياغه نهائيه. كما كتب عدد من المقالات التي ابرزت فكره الإجتماعي ورغم أنها لا تقدم تصورا كاملا إلا أنها اظهرت معارضته للغني الفاحش ودعوته الى التكافل الإجتماعي.

وهو ايضا قد كتب بعض المقالات في التربية والسياسة . فقد ترجم كتاب هربرت سبنسر التربية عن الفرنسية ، اما عن المقالات السياسية فكتب واحدة بعنوان «المستبد العادل» وأخري بعنوان «اثار محمد علي» وثالثه بعنوان «الرجل الكبير في الشرق «. ثم كتب كتابات متفرقة عن رفضه للاحتلال. وكتب ايضا مقدمة لرسالة الواردات وقام بنسخ كتاب الاشارات لابن سينا. وبعد تخرجه من الأزهر نشر كتاب البصائر البصيرية لكي يوجه الأزهريين الى دراسة علم المنطق بالاضافة الي مقالة العلوم الكلامية والدعوة الي العلوم العصرية.

د. الظروف والعوامل المؤثرة عليه

هناك عدة عوامل التي ساعدت في تشكيل شخصية الإمام والتأثير فيها, سواء ما تعلق منها بالبيئة التي نشآ فيها, أو القراءات التي انفتح عقله عليها, أو الأحداث السياسية التي القى بثقله فيها.

١. العوامل الاجتماعية

عند تحليل الوضع الاجتماعي للامام محمد عبده يجب التمييز بين موقف عائلته التي قضي فيها فترات حياته الأولى والموقف الإجتماعي الذي انتهي اليه هو شخصيا وحالة المؤسسات الإجتماعية التي ارتبط بها عمله الإجتماعي والسياسي.

تعرضت قرية «محلة نصر» مثلما تعرضت معظم القري المصرية لاثار تجربه محمد علي الاقتصادية حيث استولى علي كل الاراضي الزراعية وجعلها تحت سلطة الدولة .وتعرضت عائلة محمد عبده مثل غيرها الى مظاهر التشريد وهجر الاراضي الزراعية ونالت حظها من نظام السخرة والسجن.

وكانت عائلته كبيرة العدد ذائعة الصيت والشهرة بين عائلات القرية, وتميزت بالفتوة والكرم واحترام الاخلاق والفضيلة وشدة الاهتمام بالنسب والانساب. فكانت من اصحاب متوسطي الملكيات الزراعية وذات هيبة اجتماعية.

وبفضل ماتوفر من ثراء متوسط تلقي الامام تعليمه الأولى في ظروف افضل من تلك التي ينشآ فيها معظم ممن يذهبون الي الكتاب. ودلالة هذا الثراء ان والده مكنه من استخدام المعلمين لتعليم ابنه في منزله وحتي عندما ذهب الى الكتاب لاستكمال حفظ القرآن كان له وضعا مميزا. وكان لهذا الثراء ايضا دوره في اصرار والده علي استكمال الإمام

تعليمه وارجاعه الى دور العلم كلما يئس منه.

وكان للخلفية الاجتماعية تآثيرها القوي علي مواقفة السياسية والفكرية وظهر ذلك من اتجاهه السياسي الذي كشف عنه بعد دخوله الحياة السياسية اثناء فترة الثورة العربية. اما من حيث تاثير الخلفية الاجتماعية علي انتمائه الفكري فقد جعلته يتجه الى الفكر المستنير والإصلاحي.

٢. الابعاد النفسيه لشخصيته

تمتع الامام بقوة الشخصية واستقلال الرأي والثقة بالنفس وقد تولد ذلك بفعل اعتزازه بعائلته وماشاهده في منزل والده من سلطه الوالد وقوتها. وقد عمق تحصيله العلمي من قوه شخصيته واعتزازه بنفسه.

٣. العوامل الثقافية

اتجه محمد عبده الى الدراسات الدينية الإسلامية وساعدته ظروفه على الانفتاح على أصول تلك الدراسات بصفة اساسية. وقد لعب الاتجاه الصوفي في صورته النقية دورا اساسيا في تدعيم ثقة المسلم العادي بدينه والاهتمام بالنواحي الروحية والدنيوية معا.

وكان لقاؤه بالافغاني نقطة تحول في حياته الثقافية فعلى يده تعلم اصول الفلسفة وانتقل من الصوفية الخيالية الى الفلسفة العملية واتسع عقله للعلوم الفلسفية والمنطقية. وكان للنزعة العقلية والعملية التي تركها الأفغاني على فكر الامام اثرها في اتجاهه نحو الإصلاح الإجتماعي والأخلاقي والدعوة الى الانفتاح على الحضارات الاخري. وتركت مقدمة ابن خلدون اثرها عليه ورؤيته لتطور المجتمعات ونشآتها وتاثير طبائع الشعوب ونفسياتها علي تقدمها الحضاري. تعلم الامام اللغه الفرنسيه فمكنته من توسيع معارفه بالفكر الاوروبي.

٤. العوامل السياسية

تأثر محمد عبده باتجاه جمال الدين الافغاني نحو تحرير العقل من الجمود الفكري ونهضة الشرق والدعوة الى الثورة علي الاستبداد والسخط علي الحكام المستبدين. ومشاركته في الثورة العرابية اثرت عليه وكان لفشلها أيضا أثر كبير حيث ترك اثرا سيئا على فهمه للعمل السياسي بعد الثورة.

هـ. منهج الامام محمد عبده في التجديد والاصلاح

يري الإمام محمد عبده أن الاصلاح لايأتي أبدا من الثورة أو غيرها من الحلول العاجلة. فالإصلاح عنده يأتي عن طريق إصلاح مناهج الفكر عند المسلمين, وعن طريق

التربية والتعليم والتهذيب, وأيضا عن طريق تكوين نخب مثقفة ومفكرة الذين يجددون أمر دين الأمة. وهذه الطرق عنده أصعب وأطول لكنها الأكثر امنا من الطريق السياسي او الانقلاب السريع في تحقيق نهضة والتقدم. (عمارة, د.ت.: ٤٢-٦٣).

وهذا المنهج الذي سلكه الامام محمد عبده عبر بالمنهج الوسطى حيث كان الامة في عصره منقسمة الى قسمين: (١) طلاب العلوم الدينية ومن هم على شاكلتهم, وهم اصحاب المنهج التقليدي (٢) وطلاب علوم الدنيا, وهم أصحاب المنهج التغريبي, الذين انبهروا بالغرب وعلومه وتقدمه المادي. فسلك الامام – رحمه الله – المنهج الوسطي للتجديد بين هذين الفريقين الغلويين : غلو الجمود والتقليد, وغلو التبعية والتغريب. وفي توضيح هذا المنهج يقول الامام – رحمه الله – «انني أدعو الى تحرير الفكر من قيد التقليد, وفهم الدين عن طريقة سلف الأمة» والمراد بسلف الامة هنا هو العودة الى المصادر الاصيلة التي تمسكها سلف الامة, الا وهما القران وسنة رسول الله. (عمارة, د.ت.: ٧٢).

سيعرض الباحث فيما يلي عن رؤية الامام محمد عبده التجديدية للعديد من القضايا:

١. لقد انتقد الامام محمد عبده موقف السلفيين المقلدين من العقل والمدنية , فقال الامام «وهذه الفئة – اي السلفيون – أضيق عطنا واحرج صدرا من المقلدين, وهي وان انكرت كثيرا من البدع ونحت عن الدين كثيرا مما اضيف اليه وليس منه, فانها تري وجوب الاخذ بما يفهم من اللفظ الوارد, والتقييد به بدون التفات لما تقتضيه الاصول التي قام عليها الدين,واليها كانت الدعوة, ولاجلها منحت النبوة, فلم يكونوا للعلم اولياء, ولا للمدنية أحباء». (رشيد رضا, ١٣٩١: ٥٤١).
٢. بالنسبة لمنهجه التجديدي, تحدث الامام محمد عبده كثيرا عن مكانة العقل في الاسلام دون اسراف ليقاوم بذلك دعاة التقليد والجمود من ناحية ودعاة التغريب من ناحية اخري. وقد نادي الامام محمد عبده في مواجهة المنهج التغريبي الغربي بنظرية الهدايات الأربع: وهي العقل والنقل والتجربة والوجدان. وقال انها أربع سبل للمعرفة تتكامل معا فتكون المعرفة الإسلامية.
٣. رأي الامام انه لا تناقض بين القران والعلوم الكونية. فالقران عنده هو المعجز الخارق – دعا الناس اليه للنظر فيه بعقولهم , فهي معجزة عرضت على العقل , واطلقت له حق النظر في انحائها, ونشر ما انطوى في اثنائها, فالاسلام لا يعتمد على شيئ سوى الدليل العقلي, والفكر الانساني الذي يجري على نظامه الفطري, فلا يدهشك بخارق للعادة, ولا يغش بصرك بأطوار غير معتادة, ولا يخرس لسانك بقارعة سماوية , ولا يقطع حركة فكرك بصيحة الهية. (ادمز, د.ت.: ٧٨, ٦٢١). فهو يقول أن القران الكريم يعلمنا أن الله أنزل الكتاب والحكمة, والحكمة هي

الاصابة في غير النبوة, أي الصواب البشري الذي يأتي به العقل من غير النبوة. فكأن هناك صوابين: صواب يأتي به الوحي الإلهي, والله منح الانسان عقلا هو سبيل لصواب بشري, فإذا كان الصواب من الوحي والصواب من العقل كلاهما من عند الله فكيف يتأتى أن يكون هناك تناقض بين الشريعة والعقل أو بين الكتاب والعقل؟ فما دام الواهب واحدا, فليس من المعقول أن يعطى هدايتين تناقض احداهما الاخري, وبذالك يتتضح الفرق بين العقلانية الغربية التي تؤله العقل وتضعه محل الدين, وبين العقلانية الاسلامية التي تضع العقل والنقل والتجربة والوجدان في نسق معرفي واحد. (عمارة, ١٩٩٨: ١٢).

٤. رفض الامام محمد عبده صراحة للنموذج الحضاري الغربي , لتناقضه مع الاسلام الذي يدعو الى الجمع بين المادة والروح. فالامام يقول : «إن هذه المدنية — اي مدنية الغربية — هي مدينة الملك والسلطان , مدينة الذهب والفضة , مدينة الفخفخة والبهرج , مدينة الختل والنفاق, وحاكمها الاعلى هو الجنيه عند قوم والليرة عند قوم اخرين , ولا دخل للانجيل في شيئ من ذلك.

٥. والامام محمد عبده ينقد ويرفض لنموذج الحضارة الغربية التاريخي المتميز بالكهانة والبباوية والدولة الثيوقراطية, مبينا تميز الاسلام ونموذجه التاريخي عن هذا النموذج الغربي, فيقول : ان الاسلام لم يعرف تلك السلطة الدينية التي عرفتها أوروبا, فليس في الاسلام سلطة دينية سوى سلطة الموعظة الحسنة والدعوة الى الخير, والتنفير عن الشر. (د.م., د.ت.: ٣, ٣٣٢).

٦. الشيخ محمد عبده له منهج فريد في تفسير القران الكريم ورؤية جديدة في فهم الايات والاسترشاد بها في الحياة. وكان الامام محمد عبده في طليعة جيل من المفسرين ومؤسسا لمدرسة لها منهجها الجديد والفريد في تناول أيات القران الكريم. وقد حدد الامام محمد عبده التفسير المطلوب للقران بأنه فهم الكتاب من حيث هو دين يرشد الناس الى ما فيه سعادتهم في حياتهم الدنيا وحياتهم الاخرة. فإن هذا هو المقصد الاعلى منه , وما وراء هذا من المباحث تابعة له أو وسيلة لتحصيله. (د.م., د.ت.: ١, ٥). ولذالك يري الامام أن اتجاهات المفسرين في شرح البلاغة أو النحو او الكلام او غيرها من اتجاهات المختلفة تبغد عن القصد الاساسي من التفسير.

فقد فسر الامام محمد عبده القران الكريم على اسس كانت بعده عبارة عن معالم واضحة يضعها نصب عينه كل مفسر لكتاب الله, وهذه الاسس هي:

١. الوحدة الموضوعية
٢. عموم القران وشموله

٣. القران الكريم هو المصدر الاول للتشريع
٤. محاربة التقليد
٥. إعمال النظر والفكر واستخدام المنهج العقلي في الاستنباط
٦. ترك الاطناب عما ورد في القران بصورة مبهمة
٧. التحفظ في الاخذ بما سمي بالتفسير بالمأثور
٨. اهتمامه بتنظيم الحياة الاجتماعية على أسس من هدي القران. (شحاتة, د.ت.: ١٦٢).

و. اثر الشيخ الإمام محمد عبده في الفكر الاسلامي المعاصر

يعتبر الشيخ الإمام محمد عبده رائد الإصلاح والتجديد ومؤسس المدرسة العقلية في العصر الحديث, فهو الذي وضع قواعدها ودعا اليها ونشرها بين الناس, فكان بحق أستاذها وإمامها الأول, وان كان أستاذه الأستاذ جمال الدين الأفغاني هو الذي أشعل الشرارة الأولى في فكره, الا أن الأستاذ الإمام – على حد تعبير الدكتور محمد عمارة – هو المهندس الأكبر لحركة الإحياء والتجديد أو للمدرسة العقلية الحديثة.

لقد قام الامام محمد عبده بدور كبير في اصلاح وتجديد الفكر الاسلامي المعاصر. وقد كان تجديده هذا في عدة امور, نوردها فيما يلي:

اولا: إصلاح التعليم

فالامام محمد عبده بدأ إصلاحه باصلاح التعليم , وهذا الاصلاح طريق لانقاذ المجتمع المصري. وهو يري ان إصلاح البرامج التعليمية أساس لايجاد المسلم الصالح. ومن هذا المنطلق قدم الامام مذكرتين: أولهما كانت بعد أن صدر إعلان شيخ الاسلام بالاستانة عن إدارة سنية باصلاح المداريس والتعليم عن السلطان غبد الحميد, والثانية قدمها في القاهرة إلى اللورد كرومر المندوب السامي البريطاني في مصر. (امين, ٨٤٩١: ٣١٣).

ثم تكلم عن المدارس الأميرية وأنه ليس فيها شيئ من المعارف الحقيقية ولا التربية الصحيحة, ثم تناول إصلاح الأزهر وذلك بإصلاح نظام الدروس والامتحان, ثم اقترح إلحاق الأزهر بالمعارف أو بإدارة الأوقاف. ثم تحدث عن المعلمين والمربين ومدرسة دار العلوم وغاية انشاءها, وهي إعداد خريج الأزهر لتدريس العلوم العربية والدينية,ويري امكانية إحلال دار العلوم محل الأزهر, ولكن يلزم من ذلك عدة أمور: كحذف بغض العلوم, وتغيير طريقة تغليم القران ,واختيار المعلمين الصالحين ونحو ذلك.

وعلى الزغم من كل تاجهود التي بذلها الإمام محمد عبده لإصلاح التعليم, الا انها ذهبت سدى, بل رفض الخويدي توفيق تعيين الامام محمد عبده مدرسا في دار العلوم

وأمر بإقصائه عن التعليم,وعين قاضيا في الريف. (الجمال, ٤٩٩١: ١, ٨٤٢).

ثانيا: أصلاح المناسبات الدينية

لم يكن الامام محمد عبده في تحامله على الازهر حاقدا عليه او كارها له, بقدر ما هو اشفاق ورغبة في الاصلاح يراه كما يريد من علو ورفعة علمية ودينية في رجاله وطلابه ومناهجه وعلومه, فاتجه الشيخ محمد عبده عندما سنحت له الفرصة إلى إصلاح الأزهر, فسعي لدى المشتسار المالي وحصل على مبلغ ألفى جنيه من خزينة المالية ووضعت في ميزانية الأزهر لعام ٥٩٨١ م وكان الشيخ يومئذ عضوا معينا في مجلس إدارة الأزهر. (الجمال, ٤٩٩١: ١, ٩٤٢).

ثالثا: إصلاح المؤسسات الاجتماعية

الاصلاح عند مجمد عبده لايقتصر على الجهات الرسمية الحكومية كإصلاح التعليم والأزهر والمحاكم والمساجد وغيرها, بل يمتد هذا الاصلاح إلى تأسيس الجمعيات الخيرية بالمجهود الشعبي والحكومي, فأنشأ الجمعية الخيرية الاسلامية مع نفر من أصدقائه, وهو الذي يرأسها ووضع اهدافها.

كما أنشأ أيضا جمعية إحياء الكتب المصرية وجمعية التقارب بين الاديان وغيرها من الجمعيات التي ساهمت بدور كبير في توثيق روح الخير في الامة والتعاون على البر والتقوى. (د.م., د.ت.: ١/ ١٣٧-٨٨٧).

رابعا: تأسيس المدرسة العقلية

فالامام محمد عبده هو المؤسس الاول للمدرسة العقلية الحديثة , وهذه المدرسة لها تأثير عظيم في تجديد الفكر الاسلامي ويقظة العقل المسلم لمواجهة التحديات الفكرية. وكان تربويا منهجيا يؤمن بأن الاصلاح ان يكون عن طريق مخاطبة الشعب وتربيته السليمة التي تساعده على النهوض. ومن أجل ذلك افتتح مدرسة بجوار بيته لتخريج الدعاة ورسل الاصلاح. (عبده, د.ت.: ٥٩١).

وقد بدأت هذه المدرسة بالشيخ محمد رشيد رضا الذي اعطا ها كل فكره وعقله ووقته, ثم حفل ركبها كل يوم بمن ينضم أليه, من امثال الأستاذ محمد فريد وجدي, الدكتور محمد عبد اله دراز, الدكتور محمد البهى, الشيخ محمد المدني, الاستاد العقاد, الشيخ محمد الغزالي, الدكتور محمد عمارة وغيرهم.

وهذه المدرسة باقية حتى الان ويخرج منها القادة والمصلحون الذين يعملون دائما على تحرير العقيدة من الشرك , والعبادة من البدع , والفكر من الخرافة, والسلوك من

الانحراف. (ادمز, د.ت.: ٦٢١-٨٢١).

ز. الخاتمة

خلاصة القول، كان محمد عبده يدعو إلى الوحدة الاجتماعية (الوطنية والدينية على السواء) وإلى توفيق جميع المصالح، وإن فكرته عن الأمة المصرية لا تعير العرق أى وزن، وهى نظرة إسلامية أصيلة. وهو من احد المجددين في الاسلام. لقد صدق الله رسوله في نبوءته بأنه سيبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد للامة امر دينها فبعث الله الشيخ الامام محمد عبده.

المراجع

محمد رشيد رضا. ١٣٩١. تاريخ الأستاذ الإمام. مصر: مطبعة المنار.

_____. ١٣٩١. تاريخ الاستاذ الامام محمد عبده. مصر: مطبعة المنار.

_____. ٨٦٣١ هـ. تفسير القران الحكيم (تفسير المنار). مصر: دار المنار.

عباس محمود العقاد. ١٧٩١. الامام محمد عبده. بيروت : دار الكتب العربي.

_____. ٩٦٩١. الاسلام في القرن العشرين. بيروت: دار الكتاب العربي.

محمد عبد المنعم الخفاجي. ٨٨٩١. الازهر في ألف عام. بيروت : عالم الكتب.

محمد عمارة. د.ت. «التقدم والاصلاح بالتنوير الغربي ام بالتجديد الاسلامي». العدد رقم ٠٢ في سلسلة التنوير الاسلامي.

تشارلز ادمز. د.ت. الاسلام والتجديد في مصر, ترجمة عباس محمود. د.م.: لجنة ترجمة دائرة المعارف.

محمد عمارة. ٨٩٩١. تجديد الدنيا بتجديد الدين. مصر: نهضة مصر.

_____.٣٩٩١. الاعمال الكاملة للامام محمد عبده. مصر: طبعة القاهرة.

عبد الله شحاتة. د.ت. منهج الامام محمد عبده في التفسير. د.م.: د.م.

احمد امين. ٨٤٩١. زعماء الاصلاح في عصر الحديث. مصر: طبعة مصر.

حمد بن صادق الجمال. ٤٩٩١. اتجاهات الفكر الاسلامي المعاصر في مصر. السعودية: دار الكتب للطباعة والنشر.